

مواقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم ورسمه وترتيبه .
عرض ونقد .

إعداد
الدكتور أبو بكر كافي

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

المقدمة

إن هذا القرآن هو وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو كتابه الخالد الذي تكفل بحفظه في حروفه وكلماته، وسوره وآياته، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وهو كتابه المعجز في نظمه وترتيبه، ومعانيه وأخباره، بما يدركه أهل الإيمان فيزدادون إيماناً، وبعزم عن أهل الكفر والجحود فيزدادون طغياناً ((وليعلم الذين أوتوا العلم.....)) ولقد أدرك علماء المسلمين على مر الزمن سرّ ترتيب القرآن الكريم، وإعجازه في ذلك، وعرفوا دقة المنهج الذي سلكه الصحابة في جمع القرآن وتدوينه، بما لم يتح لكتاب غيره في الدنيا.

ولكن كثيراً من المستشرقين أرادوا التشكيك في المسلمات، ومناقشة البديهيات، متذرعين بالمنهج العلمي الموضوعي، وهم بعيدون كل البعد عنه، فألقوا شبهاتهم حول جمع القرآن وتدوينه، وترتيب سوره وآياته، محاولين بث الشك حول هذا الكتاب الخالد، وزعزعة الثقة به في نفوس المسلمين، ولكن باءت محاولاتهم بالفشل، وأُسقطت في أيديهم، وتساقطت شبهاتهم أمام أسوار الحق المنيعة ﴿بَلْ نَقِيفٌ بِالْحُقْقِ عَلَى الْبَطْلِ فِي دَمَغْهُ، فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨] ولقد أردنا أن نتناول في هذا البحث موقف هؤلاء المستشرقين من جمع القرآن وتدوينه وترتيبه عارضين شبهاتهم في ذلك متعقبين لها بالرد والتفنيد بمنهج علمي موضوعي بعيداً عن التهويل والاتهام ضمن المطالب الآتية:

- تمهيد: أهمية الموضوع.

المطلب الأول: موقف المستشرقين من جمع القرآن وتدوينه، ونقده.

- المطلب الثاني: موقف المستشرقين من المصحف العثماني ونقده.
- المطلب الثالث: موقف المستشرقين من ترتيب القرآن ونقده.
- خاتمة.

تمهيد: أهمية الموضوع:

إن بحث هذا الموضوع من الأهمية بمكان؛ إذ هو يطرح مشكلة تاريخية للنص القرآني على بساط البحث، وإن كانت هذه المسألة محسومة عند علماء المسلمين، فقد تناولتها كتب التفسير وعلوم القرآن بالبحث والبيان، وكلها وصلت إلى نتيجة واحدة، لكنَّ طرُحها من طرف المستشرقين اتخذ منحى آخر اتسم بالتشكيك واعتماد النصوص الشاذة، والروايات الضعيفة والواهية، مما كان نتبيجه مواقفَ مريضةً حول توثيق النص القرآني بما يفتح المجال واسعاً للشك في صحة القرآن، أو في وجود عناصر أجنبية عنه تسربت إليه بسبب تأثر تدوينه، أو بدائية الوسائل المستعملة، أو ضعف المنهج المعتمد. أو غير ذلك.

المطلب الأول: موقف المستشرقين من جمجمة القرآن وتدوينه

للمستشرقين آراء كثيرة حول تدوين القرآن الكريم وجمعه، تتسم بالغرابة والشذوذ والبعد عن المنهج العلمي، ولا نستطيع أن نستقصي كل أقوالهم في ذلك، ويمكن أن نلخص مزاعمهم فيما يلي:

- ادعاء غموض تاريخ القرآن.
- عدم صحة الروايات الواردة في الجمع.
- ادعاء تأخر تدوين القرآن الكريم.
- ضياع فقرات من القرآن.
- ادعاء وجود أشياء في القرآن ليست منه.

والآن نقوم بالنقد العلمي والرد الموجز على كل شبهة من هذه الشبهات، بذكر رأي المستشرقين وسياقه بنصه أولاً، ثم نقهده وبيان مكمن الضعف فيه.

أولاً: ادعاء غموض تاريخ القرآن:

يقول أ.ت. ويتش: ((إن تاريخ القرآن بعد وفاة محمد لا يزال غير واضح، وإن إعداد النسخة الرسمية أو القانونية للقرآن مر بثلاث مراحل عبر تطورها، يصعب وضع تاريخ محدد لكل منها، وإن الاعتقاد السائد بين المسلمين هو أن القرآن كان محفوظاً بطريقة شفهية، ثم كتب أثناء حياة النبي - صلوات الله وسلامه عليه - أو بعد موته بقليل، عندما جُمع ورُتب لأول مرة بواسطة الصحابة، ثم ظهرت النسخة الإمامية أو المصحف الإمام في عهد الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه-))⁽¹⁾.

(1) دائرة المعارف الإسلامية: ص 404 عمود ب.

إن هذا الادعاء لا أساس له من الصحة وهو إن دلّ على شيء فإنما يدل على قصور علم هؤلاء المستشرقين وقلة اطلاعهم على المصادر الإسلامية، أو كتمانهم الحقائق العلمية الناصعة، فعلماء المسلمين قد بحثوا هذا الموضوع في كتب الحديث وعلوم القرآن والتاريخ، بل قد أفرده بعضهم بالتصنيف المستقل، ومع ذلك يحاول هؤلاء المستشرقون إعادة كتابة تاريخ القرآن، ولكن بمنهج غير الذي كتب به على أيدي العلماء الأمانة مع اعترافهم بعجزهم وقلة اطلاعهم.

وفي هذا الصدد يقول ويلش: ((ومن جانبنا فإننا نلاحظ أن مهمة إعادة كتابة تاريخ القرآن ليست سهلة، بل هي أكثر تعقيداً في الحقيقة؛ وذلك لأن المصادر القديمة تحتوي على الآلاف من الأشكال النصية المختلفة، والتي لا توجد في أي مخطوط يعرفه المستشرقون))⁽¹⁾.

ثانياً: ادعاء عدم صحة الروايات الواردة في الجمع.

ويشّكك ويلش في الروايات الواردة في موضوع الجمع فيقول: ((إن المسلمين قبلوا هذه الروايات على أنها صحيحة تاريخياً، وأن ما فيها حق لا شك فيه، مع أن هناك مشكلات صعبة تحوط بها، حيث توجد روايات أخرى في كتب الأحاديث المعتمدة تناقض موضوع هذا الحديث))⁽²⁾.

أما المستشرقان كتاني وإسکوالی فيشكّكان في صحة واقعة اليمامة التي كانت سبباً في جمع القرآن قائلين بأن عدد الذين استشهدوا في هذه الموقعة من

(1) انظر: القرآن الكريم من المنظور الاستشرافي دراسة نقدية تحليلية للدكتور محمد محمد أبو ليلة - ط 1 دار النشر للجامعات مصر، سنة 2002، ص 143.

(2) المصدر نفسه.

الحافظ الذين ذكرتهم المصادر قليل، وهذا يعني أن خبر واقعة اليمامة لا يصلح أن يكون سبباً لانزعاج عمر، ودعوته لجمع القرآن، ولذلك فإن إسکواللي يذكر أن الذين استشهدوا من الحفاظ من الصحابة في موقعة اليمامة كانوا اثنين فقط⁽¹⁾.

ولم يشد هذان المستشرقان في التشكيك في هذا الأمر بل نجد مستشرقين آخرين يُيدون تشكيكهم من أن تكون وقعة اليمامة هي التي قدمت الداعي إلى جمع القرآن ومن هؤلاء بروكلمان⁽²⁾.

ويشتبه ((برتون)) إلى حد الذهاب إلى أن مجموع الروايات الخاصة بجمع القرآن من وضع الخيال، وأن دور زيد بن ثابت رضي الله عنه البارز في هذه العملية إنما اختراع احتراعاً، لأنه كان يكتب للنبي وهو شاب، وأنه كان من أواخر من مات من الصحابة⁽³⁾.

كما يزعم ((برتون)) ومعه المستشرق ((شخت)) أن علمي الحديث والفقه قد أثرا في عملية تزايد عدد الروايات الخاصة بجمع القرآن، كما يدعي أن هذه الروايات كانت من صنع المحدثين والفقهاء بغرض تأييد ما ذهبوا إليه من القول بالناسخ والمنسوخ⁽⁴⁾.

(1) انظر: القرآن الكريم من المنظور الاستشرافي دراسة نقدية تحليلية للدكتور محمد محمد أبو ليلة - ط1 - دار النشر للجامعات مصر، سنة 2002، ص 158.

(2) تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار: 1/139.

(3) انظر: القرآن الكريم من المنظور الاستشرافي، ص 164.

(4) انظر: القرآن الكريم من المنظور الاستشرافي دراسة نقدية تحليلية للدكتور محمد محمد أبو ليلة- ط1- دار النشر للجامعات مصر، سنة 2002، ص 168.

إن الروايات الواردة في موضوع الجمع كثيرة، فيها ما هو صحيح في أعلى درجات الصحة، وفيها ما هو دون ذلك، وفيها الضعيف الواهي، والمنهج العلمي يقضي بالأحد بالصحيح وترك الضعيف والواهي، أو التوفيق بين الأخبار الصحيحة الثابتة. ولكن كثيراً من المستشرقين شكّلوا فيما هو صحيح ثابت دون أدنى دليل علمي كما وقع لكتابي وإسکوالی وبروكمان من التشكيك في أن تكون وقعة اليمامة هي الدافع لجمع القرآن في زمن الخليفة أبي بكر بالرغم من ورود القصة في أوثق كتب الحديث وهو صحيح البخاري⁽¹⁾.

وفيه أن القتل قد استحرّ بالقراء يوم اليمامة. وتفيد بعض المصادر أن عدد القراء الذين قتلوا في هذه الموقعة أربعين وخمسون من نحو ألف⁽²⁾، ومع ذلك فإن إسکوالی يزعم أن الذين استشهدوا من الحفاظ من الصحابة في موقعة اليمامة كانوا اثنين فقط⁽³⁾.

كما أن كثيراً منهم عَوَّلوا على الاختلاف بين الروايات في حديث جمع القرآن دون أدنى محاولة للجمع أو التوفيق بين الروايات كما فعل ويلش، مع أن الكثير من هذه الروايات ضعيف، وعلى فرض صحته فيمكن التوفيق بينه وبين ما صَحَّ. فمن ذلك ما أخرجه ابن أبي داود من طريق الحسن أن عمر بن الخطاب سُأله عن آية في كتاب الله، فقيل: كانت مع فلان، قُتل يوم اليمامة

(1) انظر: صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن رقم 4986، 8/627 مع الفتح ط دار الريان للتراث

(2) انظر: تاريخ الطبرى، حوادث سنتي 11 و 12 هـ، والبرهان للزرکشى 2/233.

(3) انظر: القرآن الكريم من المنظور الاستشرافي دراسة نقدية تحليلية للدكتور محمد أبو ليلة- ط 1- دار النشر للجامعات مصر، سنة 2002، ص 158.

فقال: إنا لله وأمر بجمع القرآن، فكان أول من جمعه. فهذا الحديث إسناده منقطع، وعلى فرض صحته، يكون المراد بقوله: أول من جمعه، أي أشار بجمعه⁽¹⁾.

وخلالصة موقف المستشرقين من روایات الجمع إنما هو المبالغة في الشك والافتراض، وإنكار الحقائق الثابتة، واعتماد الضعيف والشاذ.

ثالثاً: ادعاء تأخر تدوين القرآن

يرى كثير من المستشرقين أن الآيات القرآنية لم تقييد بالكتابية تحت رقابة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولا هو ضمّها ضمن مجموع كامل، بل أكتفى فقط قبيل وفاته بالإعلان عن نهاية الوحي، الذي امتدّ سنوات طويلة، وتمَّ تبليغه بجوماً حسب المناسبات. وأن كتابة بعض المقاطع من القرآن كانت بمبادرة بعض الصحابة تدريجياً وبوسائل بدائية لم يتم التدوين الرسمي لها إلا في عهد عثمان. وفيما يلي عرض تفصيلي لمواقف أبرز المستشرقين الذين تناولوا هذه المسألة بالبحث:

أ/غاستاف لوبيون: تحدث عن القرآن الكريم حديثاً مليئاً بالأخطاء العلمية مما يدل على جهله أو تجاهله بحقيقة القرآن الكريم وتاريخه إذ يقول: ((القرآن هو كتاب المسلمين المقدس، ودستورهم الديني والمدني والسياسي الناظم لسيرهم، وهذا الكتاب المقدس قليل الارتباط مع أنه أنزل وحيا من الله على محمد، وأسلوب هذا الكتاب - وإن كان جديراً بالذكر أحياناً - الحال من الترتيب فاقد السياق كثيراً، ويسهل تفسير هذا لدى النظر في كيفية تأليفه فقد

(1) انظر: الإتقان للسيوطى 166/1-170.

كتب تبعاً لمقتضيات الزمن بالحقيقة، فإذا ما اعترضت محمدًا معضلة أئمَّة جبريل بوحي جديد حلاً لها، ودون ذلك في القرآن، ولم يُجمع القرآن نهايًّا إلا بعد وفاة محمد. وبيان الأمر أن محمدًا كان يتلقى في حياته عدة نصوص عن الأمر الواحد، فلما انقضت عدة سنين على وفاته حمل خليفته الثالث على قبول نص نهايًّا مقابلاً بين ما جمعه أصحاب الرسول، والقرآن مؤلف من مئة وأربع عشرة سورة وكل سورة مؤلفة من آيات، ومحمد هو الذي يتحدث فيها باسم الله على الدوام⁽¹⁾.

ب/ سور دال: يزعم هذا المستشرق أن الآثار الإسلامية نفسها تدل على عدم قيد الآيات القرآنية بالكتابة تحت رقابة النبي محمد، ولا هو ضمّها ضمن مجموع كامل، بل أكتفى فقط قبيل وفاته بالإعلان عن نهاية الوحي، الذي امتدّ على فترة سنوات طويلة، وتم تبليغه بجوماً حسب الاقتضاءات.

ومبادرة بعض الصحابة هي وحدها التي تفسر تدوين مختلف المقاطع تدريجياً وبطريقة غير منتظمة وبأدوات بدائية مختلفة، انصرف عنها التسجيل في نسخ إلى ذاكرة بعض الحفظة، وكان لابن عباس وعلي وأبي مصاحف خاصة، وأما المصحف الرسمي فقد اعتمِد على عهد عثمان وبأمره، وأرسلت منه نسخ إلى دمشق والكوفة والبصرة ومكة، وإن كان أهل الكوفة أعلق بمصحف ابن مسعود المشهور ببعض اختلافاته⁽²⁾.

(1) حضارة الإسلام.

120 – 121 D. et j. sourdel: la civilisation de l'Islam classique ; pp(1)

بواسطة: مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب رسالة ماجستير بجامعة الأمير عبد القادر لزميلنا الدكتور محمد البشير مغلي رحمه الله، ص 252.

ج/ بلاشير: يرى أن التدوين لم ينشأ إلا بعد الهجرة إلى المدينة⁽¹⁾.

وهذه المزاعم كلها لا تقف أمام الروايات الصحيحة الثابتة الدالة على أن القرآن الكريم قد تم تدوينه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم عددا من الصحابة يدونون ما ينزل عليه من القرآن ويعرف هؤلاء بـ ((كتاب الوحي)) وقد وصف هذا الجمع زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال: ((كنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نُوَلِّفُ القرآن من الرقاع))⁽²⁾ أي: نجمعه لترتيب آياته من الرقاع.

وما رواه البخاري⁽³⁾ عن ابن شهاب أن ابن السباق قال: «إن زيد بن ثابت قال: أرسل إلى أبو بكر رضي الله عنه قال: إنك كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فاتبع القرآن. فتَبَعَتْ حتى وجدت آخر سورة التوبية آيتين مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ» إلى آخره.

وما رواه البخاري⁽⁴⁾ أيضا عن البراء قال: «ما نَزَّلَتْ: لَا يَسْتَوِي الْقَعْدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» [النساء: 95] قال النبي صلى الله عليه وسلم: ادعوا فلانا، فجاءه ومعه الدواه واللوخ أو الكتف فقال: اكتب لَا يَسْتَوِي

19 Blacher: op cit. p2)

بواسطة: مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب: ص 253.

(2) رواه الحاكم في المستدرك 2/229.

(3) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كاتب النبي صلى الله عليه وسلم (4989) / 8 / 638.

(4) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كاتب النبي صلى الله عليه وسلم (4990) / 8 / 638.

الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الْضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿١٠﴾ ... الحديث.

فهذه النصوص وغيرها تبين أن تدوين القرآن كان بأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يكن بمبادرة من الصحابة، كما أنها تبيّن أن الرسول كان حريصاً على تدوين كل ما ينزل عليه من الوحي ولو كان بعض آية. وهذا لا ينفي أن بعض الصحابة كانوا يدونون القرآن أو بعضاً منه تدويناً شخصياً خاصاً بهم. إذًا فالآثار الإسلامية واضحة وصريحة في أن التدوين وقع بأمر الرسول وعلمه ورقاته خلاف ما يدعوه سور DAL وغوستاف لوبيون وغيرهم.

وأما ادعاؤهم أن الخليفة الثالث هو الذي حمل الناس على قبول نص نهائي مقبلاً بين ما جمعه أصحاب الرسول، فهذا الادعاء غير صحيح بل هو محض افتراء على عثمان، فلم يفعل إلا ما فيه الخير للأمة، وبمحض من الصحابة ورضاً منهم، ولم يكن معتمده فيما قام به هو المقابلة بين ما دونه الصحابة في مصالفهم بل قد رجع إلى النسخة الأصلية التي جمعت في عهد أبي بكر بما دون على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، والآثار الإسلامية الثابتة واضحة في هذا الموضوع، ولكن يأبى هؤلاء المستشرقون إلا المغالطة والتلبيس، وسنكتفي بإيراد أصح ما ورد في هذا الموضوع مما ذكره الإمام البخاري رحمة الله.

قال-متحدثاً عن جمع القرآن في عهد أبي بكر:- ((حدّثنا موسى بن إسماعيل عن إبراهيم بن سعيدٍ حدّثنا ابنُ شهاب عن عُبيد بن السبّاق «أن زيداً ابنَ ثابت رضي الله عنه قال: أُرسِلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرَ الصَّدِيقَ مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَإِذَا عُمُرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ قَالَ أَبُو بَكْرَ رضي الله عنه: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحْرَرَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرْءَانِ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحْرَرَ الْقَتْلُ بِالْقُرْآنِ فِي الْمَوْاطِنِ فَيَذَهِبُ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنْ تَحْمِلُهُ، وَإِنِّي لَأَرِي أَنْ تَحْمِلُ الْقُرْآنَ. قال

أبو بكر: قلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟
 قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك،
 ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل
 لا تتهكم، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبع
 القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أشق على ممّا أمرني
 به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه
 وسلم؟ قال: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري
 للذى شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهم. فتبتّع القرآن أجمعه من
 العُسُب واللُّخاف وصُدور الرّجال، حتى وجدت آخر سورة التّوبّة مع أبي خزيمة
 الأنصاري لم أجدهما مع أحدٍ غيره⁽¹⁾ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ
 أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنْتُمْ﴾ [التوبّة: ١٢٨] حتى خاتمة براءة، فكانت
 الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت
 عمر رضي الله عنهم⁽²⁾.

ويروي صفة الجمع الذي وقع في عهد عثمان فيقول: ((حدّثنا موسى
 حدّثنا إبراهيم حدّثنا ابن شهاب أنّ أنس بن مالك حدّثه «إنّ حذيفة بن
 اليمان قدّم على عثمان، وكان يُعازى أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع
 أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير
 المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.

(1) أي مكتوبة، لأنّه لا يكفي بالحفظ دون الكتابة. انظر: فتح الباري لابن حجر: (632/8).

(2) صحيح البخاري، (6479) 194/8.

فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إليها بالصحف نسخها في المصايف، ثم نزدّها إليك. فأرسلت لها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصايف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيءٍ من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا. حتى إذا نسخوا الصحف في المصايف رد عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحفٍ مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحفٍ أن يحرق⁽¹⁾.

رابعاً: ضياع فُقرات من القرآن.

ويرى المستشرق نولدكه أن أجزاء من القرآن قد ضاعت، فيوضع في كتابه ((تاريخ القرآن)) هذا العنوان الواضح: ((الوحى الذي نزل على محمد ولم يحفظ في القرآن)).

وهذا ما تبناه المستشرقان اللذان كتبنا مادة القرآن بدائرة المعارف؛ إذ ورد فيها: ((إنه مما لا شك فيه أن هناك فقرات من القرآن قد ضاعت))⁽²⁾. وهذا الزعم قديم يعود في أصله إلى الروافض الذين يزعمون أن القرآن قد تعرض للتحريف، ونقصت منه آيات كثيرة تدل على ولایة علي وأحقیته بالخلافة، وغير ذلك⁽³⁾. واستدلوا لذلك بروايات ساقطة وأخبار موضوعة

(1) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمٰع القرآن (4987) / 8/628.

(2) انظر: القرآن الكريم من المنظور الاستشرافي دراسة نقدية تحليلية، ص 212-213.

(3) انظر: في ذلك الشيعة والقرآن للشيخ إحسان إلهي ظهير. إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان.

ملفقة، وقد استعمل هؤلاء المستشرقون أغلب هذه الروايات، ففتحوا الباب لأمثال هؤلاء الملاحدة للطعن في صحة القرآن وسلامته من التبديل.

خامساً: ادعاء وجود أشياء في القرآن ليست منه.

ومن أبرز المستشرقين الذين بحثوا هذا الموضوع المستشرق الألماني نولدكه في كتابه ((تاريخ القرآن)) وفيه آراء كثيرة بعيدة عن المنهج العلمي، منها ادعاؤه أن فواتح السور ليست من القرآن، وإنما هي رموز لمجموعات الصحف التي كانت عند المسلمين الأولين قبل أن يوجد المصحف العثماني، فمثلاً حرف الميم كان رمزاً لصحف المغيرة، والهاء لصحف أبي هريرة، والصاد لصحف سعد بن أبي وقاص، والنون لصحف عثمان، فهي إشارة ملوكية للصحف وقد تركت في مواضعها سهواً، ثم أحقها طول الزمن بالقرآن فصارت قرآنـاـ⁽¹⁾. وهذا الزعم مردود لعدة أمور⁽²⁾:

أولاً: إن زيداً رضي الله عنه لم يكن يجمع القرآن من نسخ كاملة، وإنما كان يجمعها من مواد مختلفة كالعظام والجريدة واللخاف، فأيّ ورقة أو جريدة أو عظمة كانت تحمل هذه الحروف؟

ثانياً: إن هذا الرأي لا يستند إلى أي دليل أو رواية صحيحة، حتى الروايات الضعيفة التي أولع بها المستشرقون لم يرد فيها شيء من هذا لا تصريحـاـ

(1) انظر: الاستشراق والدراسات الإسلامية، للدكتور عبد القهار العاني، - طـ1- دار الفرقان للنشر والتوزيع عمان الأردن، سنة 2001، ص 85، والقرآن الكريم من المنظور الاستشرافي دراسة نقدية تحليلية، ص 230.

(2) انظر: القرآن الكريم من المنظور الاستشرافي دراسة نقدية تحليلية، ص 230.

ولا تلميحاً.

ثالثاً: لم يجب هؤلاء المستشرقون عن تساؤل مهم وجوهري في هذا الموضوع، وهو لماذا وُضِعَتْ هذه الحروف في أوائل هذه السور دون غيرها، ولماذا لهذا العدد من السور بالتحديد؟

رابعاً: إن هذه الحروف بحیاتها لا تتطابق مع الأسماء التي اقترحها المستشرقون، فالزبير لا يرمز له بـ((الر)) لذلك استعمل ويلش حرف ((Z)) بدلاً من حرف ((R)) الذي وضعه نولدكه وهيرشفليد في دعواهم أن ((الر)) رمز للزبير.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى إن الأسماء التي اقترحها المستشرقون لم تكن معروفة بحیازة مصاحف، في الوقت الذي أهمل فيه هؤلاء المستشرقون ذكر أشهر الصحابة الذين عُنوا بحفظ القرآن وجمعه وتدوينه كابن مسعود، وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وغيرهم.

خامساً: إن هذه الطريقة لم تكن معروفة عند العرب، ولم تكن من عادتهم في توثيق أشعارهم وخطبهم.

فهذا كله يبين ضعف نظرية نولدكه، ومع ذلك قد وجدت ترحيباً كبيراً في الأوساط الاستشرافية، وظلت هي السائدة في الكتابات الغربية وقتاً طويلاً؛ لأن هذا الرجل يعد شيخ المستشرقين الألمان من غير مدافع، ويعود كتابه من أهم المصادر الغربية في دراسة هذا الموضوع، وعليه اعتمد معظم المستشرقين وتابعوه في كثير من آرائه التي لا يؤيدها المنهج العلمي الصحيح.

المطلب الثاني: المصحف العثماني في نظر المستشرقين

يرى المستشرق ماسي أن المصحف العثماني قد تعرض للتحوير لأسباب ثلاثة: يُرجعها إلى أخطاء الناسخين، واحتفاظ القراء بالدروس القديمة للنص في ذاكرتهم، وضعف الخط العربي وانعدام الدقة فيه، واشتباه كثير من الحروف قبل الإعجام⁽¹⁾.

ويقول جولد زيهير: ((فلا يوجد كتاب تشريع اعترفت به طائفة دينية اعترافا عقديا، على أنه نص منزل موحى به، يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب، وعدم الثبات، كما نجد في نص القرآن))⁽²⁾. ويقول عن سبب اختلاف القراءات: ((... فاختلاف تخلية هيكل الرسم بالنقط، واختلاف الحركات في الحصول الموحد الغالب من الحروف الصامدة كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات، في نص لم يكن منقوطا أصلا، ألم تحرر الدقة في نقطه وتحريكه))⁽³⁾.

ولن نخوض في الرد على هؤلاء فيما يتعلق بشبهاتهم حول القراءات وكون الرسم سببا في نشأتها فقد كفانا العلماء مؤونة ذلك⁽⁴⁾، ولكن سنتكلم على كون النص القرآني في المصاحف العثمانية الأولى قد تعرض للتحوير والاختلاف

(1) مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب: ص 252.

(2) مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار، ص 4.

(3) المصدر نفسه.

(4) انظر: رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم دافعها ودفعها، للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلي والقراءات في نظر المستشرقين والملحدين للشيخ عبد الفتاح القاضي. وتاريخ القرآن محمد طاهر الكردي، و القراءات واللهجات لعبد الوهاب حمودة، وغيرهم.

الشديد والاضطراب وعدم الثبات بسبب ضعف الخط العربي القديم أو بأخذاء الناسخين الشعوربة منها كعدم تحرير الدقة في نقطه وتحركه أو غير الشعوربة بسب تأثير النصوص المحفوظة في الذاكرة.

الاختلاف بين المصحف العثماني ومصاحف الصحابة:

من الأمور التي لها علاقة وطيدة بموضوع جمع القرآن ما يثيره المستشرقون من شبكات وتشكيك حول المصحف الذي جمعه سيدنا عثمان وأنه يخالف كثيراً مصاحف الصحابة، وأن عثمان فرض هذه النسخة من القرآن فرضاً.

وقد تعددت المصاحف التي قيل إن الصحابة كتبوها، فهناك مصاحف منسوبة إلى: ابن مسعود، وأبي بن كعب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وأبي موسى الأشعري، وأنس بن مالك، وعمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو، وسالم مولى أبي حذيفة، وعبيد بن عمير، وأمهات المؤمنين: عائشة وحفصة وأم سلمة.

ومع أن هذه المصاحف -على فرض وجودها ومخالفتها للمصحف العثماني- فردية وخاصة، ومع أن من أصحابها من اشتراك في الجمع العثماني، مثل أبي بن كعب، أو من المجمعين على ما فعل عثمان كعلي بن أبي طالب، فقد روي الكثير عن اختلاف هذه المصاحف عن مصحف عثمان⁽¹⁾.

وقد وجد هؤلاء المستشرقون في موضوع اختلاف المصاحف ميداناً واسعاً لنزلة العقائد، وفتح باب الشكوك، لأنهم يعرفون أن الشك في نص يجب الشك في آخر، فهم يُلْحِّون في طلب روایات الاختلاف، وينقلونها من غير

(1) انظر: الجمع الصوتي الأول للقرآن، للدكتور ليب السعيد-ط2-دار المعرفة، ص322.

تحرز، ويفيدونها غالباً، ولا ينقدون أسانيدها، ولا ينتفتون إلى آراء علماء المسلمين فيها.

فقد نشر ((الفنون منجانا)) و((آجنس سميث)) في سنة 1914م كتاباً بعنوان ((أوراق من ثلاثة مصاحف قديمة يمكن أن تكون سابقة للمصحف العثماني، مع قائمة بمحفظتها من اختلافات)) كما نُشر لمنجانا كتابٌ باسم: ((ترجمة سريانية قديمة للقرآن تعرض آيات جديدة واحتلافات))⁽¹⁾.

وأورد جولدزيهر في كتابه ((مذاهب التفسير الإسلامي)) الزيادات الموجودة في المصاحف الفردية غير مصحف عثمان⁽²⁾.

وتوسع ((جفري)) في ذكر الاختلافات المنسوبة إلى العديد من المصاحف الفردية للصحابة، كما جمع الاختلافات المنسوبة إلى مصاحف من بعد الصحابة: التابعين فمن بعدهم، كما جمع الاختلافات المنسوبة إلى المصاحف الجهمية الأصحاب⁽³⁾.

ومع أن بعض المستشرقين يعترفون أن بعض هذه الاختلافات تبدو مستحيلة من الناحية اللغوية، ويرون أن بعضها الآخر مما انتحله بعض اللغويين، فإنهم يصفون مصحف عثمان بأنه أقرب المصاحف إلى الأصل، ولا يقولون إنه الأصل نفسه⁽⁴⁾.

وعلى فرض وجود هذه المصاحف، وأنها بقىت بعد المصحف العثماني

(1) الجمع الصوتي الأول للقرآن: ص322-323.

(2) انظر: الترجمة العربية لعبد الحليم النجار: ص47-21.

(3) الجمع الصوتي الأول للقرآن: ص323.

(4) الجمع الصوتي الأول للقرآن: ص323.

قليلاً أو كثيراً، فإنها لم تظفر بما ظفر به هذا الأخير من إجماع الصحابة وثقتهم وأخذهم بما تضمنه من الأوجه القراءات.

وقد أجاب العلماء بأن تلك المصاحف الفردية ربما تضمنت ما كانت روايته آحاداً، وما نسخت تلاوته، وما لم يكن في العرضة الأخيرة، وأنه احتللت فيها أحياناً الألفاظ القرآنية بالشرح وبيان التأويل، وهذه المصاحف المنسوبة للصحابة قد ثبت أن عثمان قد أمر بإحراقها على ملأ من الصحابة وموافقتهم.

ضعف الخط العربي القديم:

يزعم ماسي وجولد زيهير أن الخط العربي لم يتحمّل الدقة فيه مما أدى إلى اختلاف المصاحف العثمانية فيما بينها. وهذه الدعوى غير صحيحة لأمور:

أولاً: إن اختلاف مرسوم المصاحف قام على أساس اختلاف القراءات المروية عن النبي . صلى الله عليه وسلم . وكان مقصوداً، ولم يكن خطأ. قال الإمام أبو عمرو الداني: ((إِنَّ سَأْلَنِي عَنِ الْمَوْجِبِ لِنَحْتَالَفِ مِنْ مَرْسُومِ هَذِهِ الْحُرُوفِ الْزَوَّايدِ فِي الْمَصَاحِفِ؟ قَلْتُ: أَسْبَبُ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لَمَّا جَمَعَ الْقُرْآنَ فِي الْمَصَاحِفِ، وَنَسَخَهَا عَلَى صُورَةٍ وَاحِدَةٍ، وَآتَيَرَ فِي رِسْمِهَا لِغَةَ قَرِيشٍ دُونَ غَيْرِهَا مَا لَا يَصْحُحُ وَلَا يَشْبَهُ، نَظَرًا لِلْأَمَّةِ وَاحْتِيَاطًا عَلَى أَهْلِ الْمَلَّةِ، وَثَبَّتَ عِنْهُ أَنَّ هَذِهِ الْحُرُوفَ مَنْعَلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَذَلِكَ مَنْزَلَةً، وَمَنْ رَسَّلَ اللَّهَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَسْمُوعَةً، وَعْلَمَ أَنَّ جَمْعَهَا فِي مَصَاحِفٍ وَاحِدٍ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ غَيْرُ مُمْكِنٍ إِلَّا بِإِعْادَةِ الْكَلْمَةِ مَرْتَيْنَ، وَفِي رِسْمِ ذَلِكَ كَذَلِكَ مِنَ التَّحْلِيلِ وَالتَّغْيِيرِ لِمَرْسُومِ مَا لَا خَفَاءَ بِهِ، فَفَرَّقَهَا فِي الْمَصَاحِفِ لِذَلِكَ، فَجَاءَتْ مُشْتَيَةً فِي بَعْضِهَا وَمُحْدَوْفَةً فِي

بعضها؛ كي تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله عز وجل وكما سمعت من رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فهذا سبب اختلاف مرسومها في مصاحف أهل الأمصار⁽¹⁾.

ثانياً: إن الاختلافات الثابتة بين المصاحف العثمانية من حيث الرسم قليلة:

فالاختلاف بين مصحفى الكوفة والبصرة كان في خمسة أحرف، وبين مصحف المدينة وال العراق في اثني عشر حرفًا، وبين مصحفى الشام وال伊拉克 في نحو أربعين حرفًا⁽²⁾.

ثالثاً: وأمّا تَرْكُ الشكل والنقط في كتابة النص القرآني فكان مقصوداً هو الآخر ليحمل الرسم القراءات الصحيحة الثابتة وفي هذا يقول الحافظ ابن الحزم: ((ثم إن الصحابة رضي الله عنهم لما كتبوا تلك المصاحف جرّدوها من النقط والشكل ليحتملها ما لم يكن في العرضة الأخيرة مما صحّ عن النبي-صلى الله عليه وسلم- وإنما أحذلوا المصاحف من النقط والشكل لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوين شبيهة بدلالة اللفظ

(1) المقنع في رسم مصاحف الأمصار للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، ت محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، ص 118-119 وانظر: منهاج العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني، ت فواز أحمد زملي-ط4-دار الكتاب العربي، 112/1.

(2) انظر: نكت الانتصار للباقلي، باب ذكر الحروف التي اختلف فيها أهل الشام وأهل المدينة وأهل العراق، ص 395-396، والمقنع للداني "باب ما اختلفت فيه مصاحف أهل الحجاز وال伊拉克 والشام المنسخة من الإمام بالزيادة والنقصان، ص 106-118 وفي رحاب القرآن الكريم للدكتور محمد سالم محيىن .407/1-417

الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين⁽¹⁾.

ثم إن الاعتماد لم يكن على المكتوب، بل الاعتماد في نقل القرآن على الحفظ لا على مجرد الخط⁽²⁾. ولذلك كان سيدنا عثمان يبعث مع كل مصحف قارئاً، ولم يكتف بإرسال المصاحف وحدها⁽³⁾.

أخطاء الناسخين:

يزعم المستشرون كـ((ماسي)) وغيره أنَّ المصحف العثماني تعرض للتحوير وأن من أسباب ذلك أخطاء الناسخين، ويتشبهون ببعض الآثار التي قد يفهم منها وقوع أخطاء في تدوين القرآن الكريم، منها:

ما رواه الحارث بن عبد الرحمن، عن عبد الأعلى بن عامر القرشي قال: لما فرغ من المصحف أتى به عثمان، فنظر فيه، فقال: قد أحسنت وأجملت، أرى فيه شيئاً من اللحن، وستقيمه العرب بأسنتها⁽⁴⁾.

وما رواه هشام بن عروة عن أبيه قال: سألت عائشة عن لحن القرآن ﴿إِنَّ هَذَلِينَ لَسَاحِرَيْنَ﴾

وعن قوله: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الْصَّلَوَةَ وَالْمُؤْمِنُونَ أَرْكَوْهُ﴾

وعن قوله: ﴿وَالَّذِينَ﴾

(1) انظر: النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الحسن محمد بن محمد الشهير بابن الجزي، دار الفكر: 33/1

وانظر: سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين لعلي محمد الضباع ص 15 ومناهل العرفان: 211/1.

(2) انظر: سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين لعلي محمد الضباع ص 15.

(3) انظر: مناهل العرفان 1/330.

(4) أخرجه الداني في المقنع ص 121 وابن أبي داود في كتاب المصاحف 1/232 وأورده السيوطي في

الإتقان 1/239 وفي الدر المنشور 2/745 والذهبي في السير 4/442 ومعرفة القراء الكبار 1/68.

هَادُوا وَالصَّاغِرُونَ ﴿١﴾ فقلت: يا بن أختي، هذا عمل الكتاب أخطئوا في الكتابة⁽¹⁾، وغيرها من الآثار.

وفي صحة هذه الآثار نظر، وعلى فرض صحتها فقد أجباب العلماء عن هذه الآثار وغيرها بأجوبة مقنعة لا يتسع المقام لذكرها⁽²⁾، ومع ذلك فإنها مخالفة للمتواتر القطعي، ومعارض القطعي ساقط مردود، فلا يلتفت إليها، ولا يعمل بها.

(1) رواه الطبرى في تفسيره 18/1، والدابى في المقنع ص 123 وأورده السيوطي في الإتقان 1/239.

(2) انظر: المقنع للدابى ص 119-122 والإتقان 4/1236-1239، طبعة جمع الملك فهد، ومناهل العرفان 323-317/1

المطلب الثالث: مواقف المستشرقين

من ترتيب القرآن

للمستشرقين آراء غريبة حول ترتيب سور القرآن الكريم وآياته، تناقض ما قرره علماء المسلمين من توقيف الترتيب القرآني، وما ينطوي عليه ذلك الترتيب من ترابط موضوعي وإعجاز بلاغي، إذ يزعمون أن ترتيب القرآن كان باجتهاد النبي أو الصحابة، ولا يرجع إلى تعين النبي - صلى الله عليه وسلم - وتوقيفه المتلقي عن الوحي أساساً، والمهدف من طرح هذا الإشكال هو التشكيك في تعبدية النص القرآني، والطعن في ترابطه ووحدته وأسلوبه، ومن ثمّ ادعاء تعرضه للتصرف البشري الذي هو في حقيقة الأمر نوع من التحرير والتبديل. وفيما يلي عرض تفصيلي لمواقف أبرز المستشرقين الذين تناولوا هذه المسألة بالبحث:

هنري ماسي: يرى أن ترتيب سور القرآن وآياته إنما وضع بعد وفاة

النبي⁽¹⁾ صلى الله عليه وسلم.

ويقول بروكلمان -متحدثاً عن الجمع العثماني- :((إن زيداً رتب في هذا الجمع سور حسب طولها، وابتداً بأطوالها، بعد الفاتحة التي وضعها على رأس سور كلها، وعلى هذا المنوال جمع القرآن أيضاً أبي بن كعب، والمقداد ابن عمرو، وعبد الله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري...)).⁽²⁾

جاك بيروك: قام مؤخراً بترجمة للقرآن الكريم وكتب لها مقدمة أثار فيها قضايا كثيرة، منها ما أثاره المستشرقون فيما مضى حول بنية النص القرآني فهو

(1) انظر: مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب: ص248.

(2) تاريخ الأدب العربي: 410/1.

مصنوع أم منزل؟ فيقول بحد الصدق: (إنه وفقاً للمصادر التراثية فإن تدوين القرآن قد بدأ مع بداية الرسالة وسرعان ما أدى ذلك إلى تجميعات، وقد ظلت هذه المحفوظات مجرأة، فقد كان المسلمون يرون أن ذاكرة الرواية أكثر صدقاً من الوثائق، وذلك نظراً للأهمية التي تضفيها هذه المجتمعات على الصوت الأدمي، ولم تتم عملية التدوين النهائية من مختلف المصادر إلا في عهد عثمان، ذلك الوقت الذي شهد أحداثاً اجتماعية هائلة، وكان العمل الذي حظي بالموافقة الرسمية يلتزم الترتيب الذي أقره الرسول، كما أنه لم يتم الاهتمام في البداية إلا بأطول سبع سور)⁽¹⁾.

ويؤكد ((بيرك)) أنه لا يمكن البت في هذا الموضوع، لأن الأحاديث غير كاملة ولا تعطي درجة المصداقية المطلوبة.

ويرى ((بيرك)) أن المصحف لا يتبع الترتيب الزمني للنزول، بل تجاوزت المسألة أكثر من ذلك، حتى إننا نجد داخل السورة نفسها آيات أو فقرات نزلت في أوقات مختلفة، وإن كان ذلك لا يثير أدنى قلق على العقيدة الإسلامية... ومن ذلك تسع المسافة بين النزول والترتيب لدرجة التناقض⁽²⁾.

ويؤكد ((بيرك)) في موضع آخر أن عدم التوافق ليس دائم الوجود؛ إذ إن التاريخ والترتيب يلتقيان أحياناً في السور من لقمان إلى فصلت، ولا شك أن هذه التوافقات توضح وجود ترتيب قرآني يكشف عن تركيبه وتفرده الذي يمثل طابعه الحر⁽³⁾.

(1) القرآن وأوهام مستشرق محمد حسين أبو العلا-ط1- المكتب العربي للمعارف بمصر، ص13.

(2) المصدر نفسه: ص13.

(3) المصدر نفسه: ص14.

ومن هذا المنطلق يرى نولدكه ضرورة ترتيب القرآن وفق ترتيب النزول،
وقام بمحاولة في هذا الصدد معتمداً في ذلك على كتاب أبي القاسم عمر بن
محمد بن عبد الكافي من رجال القرن الخامس⁽¹⁾.

ومع ذلك يرى المستشرق الفرنسي بلاشير وفق الوضع الراهن للنص
القرآنی استحالة ترتيب القرآن بحسب النزول لأنه لا يوفر ترتيباً دقيقاً
وموضوعياً، ويرى ضرورة العدول عن هذا المنهج إلى منهج آخر، يراعى فيه
ترتيب القرآن حسب المراحل والمواضيعات، مما يهیئ وحدة نفسية وتاريخية
أنسب بالترجمة وأكثر ملاءمة، وقراءة أيسر وأجمل في ظن الغرب⁽²⁾.

(1) انظر: تاريخ القرآن لأبي عبد الله الزنجاني ص 71.

(2) انظر: مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب: ص 250.

المطلب الرابع: نقد موقف المستشرقين من ترتيب القرآن

أما بالنسبة لترتيب آيات القرآن الكريم فإنه لا خلاف بين العلماء أن ذلك توقيفي بأمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - وفيما يلي عرض لأقوال العلماء وأدلةهم في ذلك:

قال السيوطي: ((الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك، وأما الإجماع فنقله غير واحد منهم الزركشي في ((البرهان)) وأبو جعفر بن الزبير في ((مناسباته))، وعبارته: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين انتهى. وسيأتي من نصوص العلماء ما يدل عليه⁽¹⁾).

وأما النصوص فمنها⁽²⁾: حديث زيد السابق: كنا عند النبي نؤلف القرآن من الرّقاع.

ومنها: ما أخرجه أحمد بإسناد حسن عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت جالسا عند رسول الله إذ شَخَصَ ببصِّرِه ثم صَوَّبَه، ثم قال: ((أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَإِلَّا حَسِنَ وَإِيَّاكَ إِذِ الْفُرُورَ﴾ [الحل: ٩٠] إلى آخرها.

ومنها: ما أخرجه البخاري عن ابن الزبير قال: قلت لعثمان: ﴿وَالَّذِينَ﴾

(1) انظر: الإتقان في علوم القرآن: 1/80.

(2) انظر: الإتقان في علوم القرآن: 1/80-82.

يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَدْرُوْنَ أَزْوَاجًا [البقرة: ٢٣٤] قد نسختها الآية الأخرى فِيلَمْ

تكتبها أو تدعها؟ قال: يا بن أخي لا غير شيئاً منه من مكانه.

ومنها: ما رواه مسلم عن عمر قال: ما سألت النبي عن شيء أكثر مما

سأله عن الكلاله حتى طعن بإصبعه في صدره وقال: ((تكفيك آية الصيف

التي في آخر سورة النساء)).

ومنها: الأحاديث في خواتيم سورة البقرة.

ومنها: ما رواه مسلم عن أبي الدرداء مرفوعاً: ((مَنْ حَفِظَ عَشَرَ آيَاتٍ مِّنْ

أُولَى سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدِّجَالِ)) وفي لفظٍ عنده ((من قرأ العشر الأواخر

من سورة الكهف)).

ومن النصوص الدالة على ذلك إجمالاً: ما ثبت من قراءته لسور عديدة

كسورة البقرة وأل عمران والنساء في حديث حذيفة، والأعراف: في صحيح

البخاري أنه قرأها في المغرب. و ((قد أفلح)): روى النسائي أنه قرأها في الصبح،

حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون أخذته سعلة فركع. والروم: روى الطبراني أنه

قرأها في الصبح، و ((ألم تنزيل)). و ((هل أتى على الإنسان)) روى الشیخان: أنه

كان يقرؤهما في صبح الجمعة. و ((ق)): في صحيح مسلم أنه كان يقرؤها في

الخطبة. و ((الرحمن)): في المستدرك وغيره أنه قرأها على الجن. و ((النجم)): في

الصحيح قرأها بمكة على الكفار وسجد في آخرها. و ((اقتربت)): عند مسلم أنه

كان يقرؤها مع (ق) في العيد والجمعة. و ((المنافقون)): في مسلم أنه كان يقرأ

بهما في صلاة الجمعة، و ((الصف)): في المستدرك عن عبد الله بن سلام أنه

قرأها عليهم حين أنزلت حتى ختمها، في سور شتى من المفصل تدل قراءته لها

بمشهد من الصحابة أن ترتيب آيتها توقيفي، وما كان الصحابة ليربوا ترتيباً سمعوا

النبي يقرأ على خلافه فبلغ ذلك مبلغ التواتر.

وقال مكي وغيره⁽¹⁾: ترتيب الآيات في السور بأمرٍ من النبي، وما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسمة.

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار: ((ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم، فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا)).

وقال -أيضاً-: ((الذى نذهب إليه أن جميع القرآن الذى أنزله الله وأمر بإثبات رسمه ولم ينسخه ولا رفع تلاوته بعد نزوله هو هذا الذى بين الدفتين الذى حواه مصحف عثمان، وأنه لم ينقص منه شيء، ولا زيد فيه، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى ورتبه عليه رسوله من آي سور لم يقدّم من ذلك مؤخّر ولا أخّر منه مقدّم، وإن الأمة ضبطت عن النبي ترتيب آي كل سورة وموضعها وعرفت مواقعها، كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة... وأخرج عن ابن وهب قال: سمعت مالكا يقول: (إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم)).

وقال البغوي في ((شرح السنة)): ((الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذى أنزله الله على رسوله من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئاً خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظه، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله من غير أن قدّموا شيئاً أو أخّرلوا أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله، وكان رسول الله يلقن أصحابه ويعلّمهم ما نزل عليه من القرآن، على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية

(1) انظر هذه الأقوال: في الإتقان في علوم القرآن: 80/1-82.

أنَّ هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا. فثبتت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا ثم كان ينزله مفرقا عند الحاجة، وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة)).

وقال ابن الحصار: ((ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحى. كان رسول الله يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله وما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف)).

هذا ما ي قوله علماء المسلمين، وهذه أدلةهم من الصحة والوضوح بما لا يرتاب معه مرتاب، إلا مَنْ طمس الله على قلبه، وجعل على بصره غشاوة. وأمَّا ما ي قوله هؤلاء المستشرقون بهذا الصدد فهو لا يستند إلى أي دليل علمي يمكن مناقشته وبخته، فما عندهم إلا التشكيك المدمر لا الشك العلمي القائم على القرآن والملابسات المقبولة والموضوعية.

بيدَ أنَّ كثيراً من هؤلاء المستشرقين وجدوا في اختلاف أقوال علماء المسلمين في موضوع ترتيب سور القرآن الكريم متَّكِأً يستندون إليه في شبهاهم لأنَّ للعلماء في ترتيب سور القرآن ثلاثة آراء:

الأول: أن ترتيب السور على ما هي عليه في المصحف الآن توقيفي، وأنه لم توضع سورة مكانها إلا بأمر من الرسول عن جبريل عليه السلام عن الله تعالى كترتيب الآيات سواء بسواء، وقد ذهب إلى هذا جماعة من العلماء منهم: أبو بكر الأنصاري قال: ((أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ثم فرقه في بضع وعشرين فكانت السورة تنزل لأمر يحدث والآية جواباً لمستخبر ويوقف جبريل

النبي على موضع الآية والسوارة فاتساق السور كاتساق الآيات والمحروف كله عن النبي فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن⁽¹⁾.

وقال الكرماني في ((البرهان)): ((ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب وعليه كان يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه وعرضه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين، وكان آخر الآيات نزولاً:

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] فأمره جبريل أن يضعها بين آبتي الريا والدين⁽²⁾.

وقال الطيبي: ((أنزل القرآن أولاً جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقاً على حسب المصالح، ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ)⁽³⁾.

قال أبو جعفر النحاس: ((المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله؛ لحديث واثلة: ((أعطيت مكان التوراة السبع الطوال)), الحديث. قال: فهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه من ذلك الوقت وإنما جمع في المصاحف على شيء واحد؛ لأنه قد جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله على تأليف القرآن⁽⁴⁾.

قال ابن الحصار: ((ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان

(1) انظر: الإتقان في علوم القرآن: 82/1.

(2) انظر: البرهان في علوم القرآن للزرκشي: 259/1 والإتقان في علوم القرآن: 83/1.

(3) انظر: الإتقان في علوم القرآن: 83/1.

(4) المصدر نفسه: 83/1.

بالوحى)⁽¹⁾. وقال ابن حجر: ((ترتيب بعض السور على بعضها أو معظمها لا يمتنع أن يكون توقيفياً)) قال: ((وما يدل على أن ترتيبها توقيفي ما أخرجه أ Ahmad وأبو داود عن أوس بن أبي أوس حذيفة الثقفي، قال: كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف... الحديث. وفيه: فقال لنا رسول الله: طرأ على حزبي من القرآن فأردت ألا أخرج حتى أقضيه، فسألنا أصحاب رسول الله قلنا: كيف تخزيون القرآن؟ قالوا نخزيه: ثلاثة سور وخمس سور وسبع سور وتسعة سور وإنحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل من ق حتى نخته.

قال: فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان على عهد رسول الله. قال: ويحتمل أن الذي كان مرتبًا حينئذ حزب المفصل خاصة بخلاف ما عداه⁽²⁾.

قال السيوطي: ((وما يدل على أنه توقيفي كون الحواميم رتبت ولاء، وكذا الطواسين، ولم ترتب المسبحات ولاء، بل فصل بين سورها، وفصل بين طسم الشعراء وطسم القصص بطس مع أنها أقصر منها، ولو كان الترتيب اجتهاديًّا لذكرت المسبحات ولاء وأخرت طس عن القصص))⁽³⁾.

الثاني: ترتيب السور اجتهادي من فعل الصحابة رضي الله عنهم.

قال ابن فارس: ((جمع القرآن على ضررين: أحدهما تأليف السور كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين فهذا هو الذي تولته الصحابة، وأما الجمع الآخر وهو جمع الآيات في السور فهو توقيفي تولاه النبي صلى الله عليه وسلم كما

(1) المصدر نفسه: 83/1.

(2) انظر: الإتقان في علوم القرآن: 83/1.

(3) المصدر نفسه: 84/1.

أُخبر به جبريل عن أمر ربه. وما استدل به لذلك اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور فمنهم مَنْ رَتَّبَها على النزول، وهو مصحف عليٌّ، كان أوله: اقرأ ثم المدثر ثم ن ثم المزمل ثم تبت ثم التكوير، وهكذا إلى آخر المكية والمدنية. وكان أول مصحف ابن مسعود: البقرة ثم النساء ثم آل عمران، على اختلاف شديد وكذا مصحف أبيٌّ وغيره⁽¹⁾.

الثالث: أن ترتيب بعض السور كان توقيفياً وبعضها كان باجتهاد من الصحابة.

قال الزركشي في ((البرهان)): ((والخلاف بين الفريقين لفظي؛ لأن القائل بالثاني يقول: إنه رمز إليهم بذلك؛ ليعلمهم بأسباب نزوله وموقع كلماته، ولهذا قال مالك: إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمونه من النبي صلى الله عليه وسلم. مع قوله بأن ترتيب السور باجتهاد منهم. فآل الخلاف إلى أنه هل هو بتوقيف قوله أو بمجرد استناد فعلي بحيث بقي لهم فيه مجال للنظر، وسبقه إلى ذلك أبو جعفر بن الزير⁽²⁾).

وقال البيهقي في ((المدخل)): ((كان القرآن على عهد النبي مرتبًا سورةً وآياته على هذا الترتيب إلا الأنفال وبراءة⁽³⁾).

ومال ابن عطية إلى أنَّ كثيراً من السور كان قد عُلِّم ترتيبها في حياته كالسبع الطوال والخواص والمفصل، وأن ما سوى ذلك يمكن أن يكون قد

(1) المصدر نفسه: 82/1.

(2) انظر: البرهان: 257/1، والإتقان في علوم القرآن: 1/83.

(3) انظر: الإتقان في علوم القرآن: 1/83.

فرض الأمر فيه إلى الأمة بعده⁽¹⁾.

وقال أبو جعفر بن الزبير: ((الآثار تشهد بأكثر ما نص عليه ابن عطية ويقى منها قليل يمكن أن يجري فيه الخلاف كقوله: ((اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران)) رواه مسلم. وكحديث سعيد بن خالد: قرأ بالسبع الطوال في ركعة. رواه ابن أبي شيبة في مصنفه. وفيه: أنه كان يجمع المفصل في ركعة. وروي البخاري عن ابن مسعود أنه قال: في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: إهن من العناق الأول وهن من تلادي. فذكرها نسقا كما استقر ترتيبها. وفي البخاري أنه كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين⁽²⁾.

وبعد استعراض هذه الأقوال وأدلتها نرى أن الرأي الراوح هو توقف ترتيب أكثر سور القرآن الكريم، وما لم يردد دليلاً على ترتيبه لا يعني أنه رتب بطريق الاجتهاد، فقد يكون ترتيبه بدليل لم يصل إلينا.

وعلى كل حال، ومهما يكن من أمر، سواء كان هذا الترتيب الذي نجده في المصاحف بطريق التوقف أو بطريق الاجتهاد، ثم أجمعوا الصحابة عليه، ومضت الأمة على قبوله، فيجب التمسك به والإعراض عن الدعوات الزائفة لإعادة ترتيب المصحف حسب النزول أو الموضوع، أو غير ذلك، مما يلهج به المستشرقون ومن يتبعهم، ولأن في ترتيب سوره معانٍ لا تقل عن معانٍ الترتيب في آياته، جدًّا كثیر من العلماء في استنباطها وتحصيلها، فالعدول عن هذا الترتيب مخالف للإجماع وفي ذلك مفاسد عظيمة⁽³⁾.

(1) انظر: الإتقان في علوم القرآن: 1/83.

(2) انظر: الإتقان في علوم القرآن: 1/83.

(3) انظر: دراسات في علوم القرآن للدكتور فهد الرومي - ط1- مكتبة التوبية، 124-125.

خاتمة

هذه بعض مواقف المستشرقين حول جمع القرآن الكريم وترتيبه ورسمه، قد عرضناها من خلال هذه الورقة، وقد تجلى لنا ما تحمله هذه الآراء من بُعدٍ عن المنهج العلمي، وخروج عن الموضوعية، بل وجهل في كثير من الأحيان بعلوم الإسلام ومصادرها، وغفلة عن طبيعة هذا الكتاب الكريم، وربانية مصدره، وتکفل الله تعالى بحفظه، يريدون ليطئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون. وصلى الله على محمد وآلـه وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

قائمة المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة بيروت لبنان.
- الاستشراق والدراسات الإسلامية، الدكتور عبد القهار العاني، دار الفرقان للنشر والتوزيع -1- عمان الأردن.
- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم -3- دار الفكر 1400 م.
- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة عبد الحليم النجار، الإدارية الثقافية بجامعة الدول العربية، القاهرة 1968.
- تاريخ القرآن، أبو عبد الله الزنجاني، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1935 م.
- الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم للدكتور لبيب السعيد -2- دار المعارف، مصر.
- دراسات في علوم القرآن، الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي -1- مكتبة التوبة، الرياض المملكة العربية السعودية 1413هـ
- رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم دوافعها ودفعها، للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي.
- سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين لعلي محمد الضباع - ط 1 - مصر، د.ت.
- صحيح البخاري، مع الفتح - ط 1 - دار الريان للتراث، القاهرة 1407هـ-1986م

- في رحاب القرآن الكريم الدكتور محمد سالم ميسن، مكتبة الكليات الأزهرية 1400 م.
- القرآن الكريم من المنظور الاستشرافي دراسة نقدية تحليلية للدكتور محمد محمد أبو ليلة- ط 1- دار النشر للجامعات مصر، سنة 2002.
- القرآن وأوهام مستشرق محمد حسين أبو العلا- ط 1- المكتب العربي لل المعارف بمصر، دت.
- القراءات في نظر المستشرقين والملحدين للشيخ عبد الفتاح القاضي.
- محمد في مكة، وات مونتغومري، تعریب شعبان بركات، المكتبة العصرية.
- مذاهب التفسير الإسلامي، جولدتسیهير، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار، مكتبة الحانجي، القاهرة 1374 هـ- 1955 م.
- المستدرک على الصحيحین، الحاکم النیسابوری، دار الكتب العلمية.
- المقنع في رسم مصاحف الامصار للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، ت محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة، دت.
- مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب: الدكتور محمد البشير مغلي رسالة ماجستير بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسّطنطينة الجزائر 1410-1990.
- مناهل العرفة في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، ت فواز أحمد زمرلي- ط 4- دار الكتاب العربي.
- النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الحسن محمد بن محمد الشهير بابن الجزري، دار الفكر.

فهرس الموضوعات

تمهيد: أهمية الموضوع:	3
المطلب الأول: موقف المستشرقين من جمع القرآن وتدوينه	4
أولا: ادعاء غموض تاريخ القرآن:.....	4
ثانيا:ادعاء عدم صحة الروايات الواردة في الجمع.	5
ثالثا: ادعاء تأخر تدوين القرآن	8
رابعا: ضياع فقرات من القرآن.	13
خامسا:ادعاء وجود أشياء في القرآن ليست منه.	14
المطلب الثاني: المصحف العثماني في نظر المستشرقين	16
الاختلاف بين المصحف العثماني ومصاحف الصحابة:.....	17
ضعف الخط العربي القديم:.....	19
أخطاء الناسخين:.....	21
المطلب الثالث: مواقف المستشرقين من ترتيب القرآن	23
المطلب الرابع: نقد موقف المستشرقين من ترتيب القرآن ..	26
خاتمة	34
قائمة المصادر والمراجع.....	35
فهرس الموضوعات	37